نشاط الليبيين في ديار الهجرة
وأثره على الحياة الثقافية في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية

الدكتورة علجية بشير العَرفي

جامعة قاريونس–ليبيا

شهدت ليبيا تحركات بشرية في شكل هجرات إلى مصر وبلاد الشام وتونس والجزائر وتشاد والنيجر، استمرت بشكل متتابع منذ عام 1911 وحتى عام 1932 باستثناء المدة ما بين عامي 1917 – 1922 التي حظيت فيها البلاد بنوع من الاستقرار، نتيجة لعقد الهدنة بين المجاهدين والإيطاليين[1].

وقد أثرت الهجرة من حيث أسبابها والخلفية الثقافية للمُهَاجِرِيْن وظروف البلدان المَهَاجَر إليها في طبيعة النشاط الذي مارسه هؤلاء المهاجرون في ديار هجرتهم، والذي أثَّر بدوره في أنشطة الليبيين الثقافية عقب الحرب العالمية الثانية.

ففي مصر ما أن شعرت الجماعات الليبية المهاجرة باستقرار أمورها، حتى باتت تفكر في العمل السياسي، وقد ظهرت البوادر الأولى لهذا العمل بين الطلبة الدارسين بالأزهر الذين اتخذوا من الكتابة في الصحف والمجلات المصرية، وطبع المنشورات السرية وسيلة لهذا العمل. ولم يكن لهذا النشاط هيأة ترعى شؤونه وإنما كان يُمَوَّل بجهود ذاتية من تبرعات المُهَاجِرين بما فيهم الطلبة، الذين كان عليهم دفع ما لا يقل عن قرش ونصف شهرياً لتمويل هذا النشاط[2].

---

1 – بشأن اتفاقيات الهدنة بين إيطاليا والمجاهدين، راجع ؛ محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1951)، ص. 80 وما بعدها.

2 – سالمة عبد العال الحاضرة، الجماعات السياسية الليبية 1943 – 1951، أصولها التاريخية. مواقفها السياسية، ممارستها التوفيقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس، (بنغازي، 1981)، ص. 19.

ومن مظاهر نشاط الجالية الليبية بمصر، مقال كتبه الشيخ الجبالي عبد النبي الجبالي ونُشر في جريدة الأهرام، وقد اتسم المقال بلهجته المعادية للدولة العثمانية وإيطاليا كما حَرَّضَ الليبيين على مواصلة الكفاح، وطالب العالم الإسلامي خاصة مصر بمد يد العون إلى المجاهدين في ليبيا، كما أعلن الطلبة الدارسون بالأزهر عن احتجاجهم على هذا العدوان وموقف الدولة العثمانية المتخاذل حياله، واتفقوا على ضرورة اتخاذ خطوات تتمثل في:

- الاحتجاج لدى الحكومة العثمانية على موقفها المتخاذل، ومطالبة الساسة والعسكريين الأتراك بمساندة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي.
- العمل على تعبئة الرأي العام الليبي، وتحريض المواطنين ضد إيطاليا، وحثهم على تكوين حكومة وطنية يعلنون استقلالهم تحت رايتها.
- توجيه نداء إلى العالم الإسلامي عامة ولصحافته على وجه الخصوص، للتضامن مع الشعب الليبي[1].

مما سبق يتضح أن النشاط السياسي والإعلامي لليبيين، قد بدأ منذ أن وطئت إيطاليا الأراضي الليبية، وقد ساهم الطلبة الليبيون الدارسون بالأزهر في القيام بهذه الأنشطة رغم الظروف التي يمرون بها، والمحاذير السياسية التي تفرضها عليهم السلطات المصرية*.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المهاجرين الليبيين في مصر، انقسموا عقب هجرة الزعماء الليبيين ما بين عامي 1922 — 1924، إلى مجموعتين الأولى تتبع إدريس السنوسي، والثانية تعمل تحت إشراف أحمد السويحلي. ورغم وجود اتصال بين زعماء هاتين المجموعتين، إلا أن كلا منهما كانت تعمل بشكل منفصل تماماً عن المجموعة الأخرى. وهذا ما سيتضح من خلال نشاطات

---

1 - سلفاتوري بونو "التضامن الإسلامي من أجل مكافحة الاستعمار في ليبيا"، المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، 1982)، ص. 9 — 10.

* يرجع أساس هذه المحاذير إلى التقارب الإنجليزي — الإيطالي وباعتبار أن مصر لازالت منطقة نفوذ إنجليزي فهي بطبيعة الحال ستعترض على أي نشاط مناوئ لإيطاليا.

هؤلاء المهاجرين في الفترة اللاحقة والتي بدأت منذ عام 1943، بل أن هذا الانقسام حمل بذوره ليؤثر في الاتجاهات الفكرية في ليبيا عقب الحرب[1].

ومهما يكن من أمر، فإن هؤلاء المهاجرين استمروا في نشاطاتهم، وما أن أُذيعت أنباء انتصارات المجاهدين على الإيطاليين سنة 1923، حتى أخذ المثقفون من المهاجرين الليبيين ينشرون مقالات تُشيد ببطولات المجاهدين، وتكشف الستار عن السياسة الغاشمة التي تنتهجها السلطات الإيطالية ضد الشعب الليبي، ومن ضمن هذه المقالات مقال نُشر في جريدة وادي النيل تحت عنوان "في طرابلس" وهو شبه تقرير عن الأوضاع الداخلية للبلاد، وما يعانيه الشعب من وطأة الاحتلال[2].

بالإضافة إلى ذلك أصدرت جماعة أحمد السويحلي عدة منشورات، بغرض إطلاع الرأي العام العربي والعالمي على سياسة الاستعمار الإيطالي في ليبيا.

ومن بين هذه المنشورات ما أصدرته عام 1931 بعنوان: نداء إلى العالم الإسلامي[3]، كما أصدرت عام 1934 كتاباً بعنوان: فجيعة العرب في طرابلس الغرب[4]، وهذه المنشورات هي — في الغالب — عبارة عن استغاثات موجهة إلى العالم الإسلامي والأمة العربية وقوادها ومفكريها، وإلى دعاة الإنسانية بوجه عام مطالبين إياهم بنجدة المسلمين في ليبيا، وإدانة السياسة الإيطالية فيها، كما وجَّهت الجالية الليبية بمصر نداءا إلى عموم الطرابلسيين داخل البلاد وخارجها

---

1 - سالمة عبد العال الحاضرة، المرجع السابق، ص19.

2 - رويعي محمد علي قناوي، الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1911-1945، رسالة ماجستير غير منشورة (بنغازي، 1993)، ص 204.

3 - رويعي محمد علي قناوي، المرجع نفسه، ص 311.

4 - المهاجرون الليبيون بالقطر المصري، استنهاض، د. ن، (الإسكندرية، 1939).

تدعوهم فيها إلى ضرورة الاتفاق، لأنه أقوى سلاح لنيل الحقوق التي لا يمكن أن تُنَال بالاستكانة والخنوع وإنما بالعمل الدائب والكفاح المستمر[1].

وفي عام 1934 أيضاً أصدرت جماعة السويحلي كتاباً عن عمر المختار بقلم أحمد محمود، وهو اسم مستعار للشيخ الطاهر أحمد الزاوي. يشتمل الكتاب على عرض لأطوار ومراحل حركة الجهاد الليبي التي اختتمها عمر المختار، إلا أن المؤلف وقع في كثير من المغالطات التاريخية أثناء عرضه التاريخي كما طعن في بعض الشخصيات. مما دعا الشيخ محمد الأخضر العيساوي إلى الرد على تلك المغالطات بتأليف كتاب رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار[2]، وأيده في ذلك بعض مهاجري سوريا، أمثال عمر فائق شَنِّيب، حيث نشر مقالاً في مجلة الرابطة العربية بالقاهرة عَرّض فيها بالكتاب ومُؤَلِّفه[3]، وتأهب لإصدار كتاب للرد على مزاعم المؤلف الذي بعث برسالة إلى شنيب، يوضح فيها وجهة نظره، وأنه لم يقصد بعمله هذا زرع الفتنة والشقاق بين صفوف المهاجرين[4].

ومهما يكن من أمر المؤلفات التي ألفها المهاجرون، ورغم جوانبها السلبية، إلا أنه يجب اعتبارها نشاطاً فكرياً مارسه المهاجرون، وصقل مواهبهم السياسية والأدبية، ولذلك فإن آثارها لم تكن كلها سلبية بل يجب النظر إليها من زواياها الإيجابية، حيث أنها تُلْقِي الضوء على حركة الجهاد وتُعَرِّفُ بأبطالها. وإن كان هناك خلاف بين المهاجرين حول بعض الجزئيات، إلا أن ذلك لا ينفي كَوْن هذه المؤلفات من الأنشطة الثقافية والآثار الأدبية التي تركها لنا المهاجرون بمصر، والتي تشير إلى مدى اهتمامهم بالقضية الليبية، وحرصهم عليها، بل أنها تُعَدُّ الآن مصدراً

---

1 – المهاجرون الليبيون بالقطر المصري، استنهاض، د. ن، (د. ب، د. ت).

2 – محمد الأخضر العيساوي، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ط. 1، مطبعة حجازي، (القاهرة، 1936)

3 – أرويعي محمد علي قناوي، المرجع السابق، ص 215.

4 – وثائق مركز الجهاد –طرابلس، رسالة الزاوي إلى شنيب، ملف، شكري فيصل، وثيقة 67.

من مصادر دراسة تاريخ تلك المرحلة بسلبياتها وإيجابياتها. إضافة إلى أن اختلاف وجهات النظر بين أولئك المهاجرين، حمل في طياته جانباً إيجابياً آخر تَمَثَّلَ في ذلك الجدل الذي دار بينهم مما أثرى حياتهم الفكرية، وإن كان هذا الجدل قد أُوْقِفَ بوساطة بعض الغيورين أمثال الشيخ محمد خليفة شعبان أحد المهاجرين بفلسطين[1]، فذلك لأن ظروف المرحلة التي تمر بها قضية البلاد لا تتحمل الجدل في مثل هذه الموضوعات.

وبمعزل عن هذا الجدل تأسست بمرسى مطروح عام 1940، جمعية خيرية للمهاجرين الليبيين أُطلق عليها اسم جمعية الليبيين الخيرية بمرسى مطروح، وحددت أهدافها في نقاط أهمها:

1. توحيد المهاجرين وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بينهم.
2. رفع مستوى المهاجرين الثقافي.
3. تقديم المعونات والمساعدات المادية للفقراء والعجزة[2].

ورغم عدم وجود معلومات كافية، ودلائل ملموسة على النشاطات التي مارستها هذه الجمعية إلا أن مجرد إنشائها والإعلان عن تأسيسها بكامل هيأتها الإدارية ووضع قانون أساسي لها يعتبر خطوة إيجابية قام بها المهاجرون الليبيون في مصر، ذلك لأن هذه الجمعية وغيرها من الهيآت المماثلة لها كانت النواة الأولى للهيآت التي برزت عقب الحرب، بل أنه يمكن القول أن أنشطة الليبيين بعد الحرب هي امتدادٌ لأنشطة الجمعيات والنوادي، التي تأسست بالمهجر، كما أن مبادئها وقوانينها التي سارت عليها كانت مستوحاة من قوانين ومبادئ الجمعيات التي تكونت بالمهجر. والدليل على ذلك نادي عمر المختار الذي كوَّن نواته سبعة عشر نفراً من المتطوعين الذين كانوا أسرى بمرسى مطروح. واتصل هؤلاء بالأحزاب السياسية والهيآت الاجتماعية والاقتصادية بمصر، للإطلاع على بعض قوانينها، ليتسنى لهم وضع دستور لهذا

---

1 – وثائق مركز الجهاد –طرابلس، رسالة محمد خليفة شعبان إلى الزاوي، 25 أغسطس 1936، ملف. شكري فيصل، وثيقة. 97.

2 – أرويعي محمد علي قناوي، المرجع السابق، ص. 222.

النادي. وعند وَضع الدستور اتصل أعضاؤه بإدريس السنوسي الذي أقرّ تأسيسه وأصبح رئيساً شرفياً له، في حين عُين إبراهيم الشريف السنوسي رئيساً فعلياً. وقد اقتصر نشاط النادي على الشئون الرياضية والخيرية لإعانة أُسَر المهاجرين الليبيين بمصر[1].

وقد ظل هذا النادي منذ اعتماد قانونه الأساسي بمصر في 31 يناير 1942، يمارس نشاطه حتى تحررت ليبيا من الاستعمار الإيطالي، فانتقل إلى بنغازي حيث استأنف نشاطه في إبريل 1943[2].

ومع أن المدة التي قضاها هذا النادي بمصر كانت قصيرة، إلا أن العناصر الحية التي ساهمت في تأسيسه، والمتشبعة بالآراء والمبادئ القومية، أثّرت في توجهاته الفكرية التي برزت بشكل واضح من خلال نشاطاته بعد الحرب. وبذلك فإن البذور الأولى لنادي عمر المختار مَثّلها المهاجرون، بينما مثلت مصر بما فيها من تيارات سياسية واجتماعية وأدبية البيئة التي ظهر فيها هذا النادي. ولذلك فإننا لا نعدو الحقيقة إذا اعتبرناها عاملاً من العوامل التي أثّرت في الحركة الفكرية في ليبيا، خاصة إذا علمنا بأن مصطفى بن عامر الذي اتسع على يديه نطاق هذه الجمعية كان من خريجي دار العلوم بالقاهرة، وكان على اتصال وثيق بمؤسس النادي منذ عام 1941[3].

وبعكس ما حدث في مصر فإن المهاجرين ببلاد الشام كانوا متفقين فيما بينهم، بل أنهم كانوا متفقين أيضاً مع مهاجري تونس. وإن كان نشاطهم قد تأخر بسبب المحاذير التي وضعتها السلطات الفرنسية على الموظفين المشتغلين بالسياسة، إلا أن الخلايا السرية لهذا النشاط كانت تنمو شيئاً فشيئاً، فما لبثت أول هيأة سياسية أن برزت للوجود بكامل تنظيمها الإداري والمالي

---

1 – مهدي المطردي ، جهاد ليبيا في نصف قرن، مخطوط مرقون على الآله الكاتبة، دار الكتب الوطنية، (بنغازي، د. ت)، ص. 43–45.

2 – محمد بشير المغيربي، وثائق جمعية عمر المختار، ط. 1، دار الهلال، (القاهرة، 1993) ص. 9.

3 – محمد بشير المغيربي ، المرجع نفسه، ص. 9 – 10.

وفق خطط مدروسة في أكتوبر 1925، وكان هدفها المباشر تكثيف جهود الجالية الليبية لمواجهة إيطاليا سياسياً، إلى جانب القيام ببعض المهام الاجتماعية كتوثيق الصلة بين أفراد الجالية الليبية[1].

وقد واصلت الهيأة عملها السري حتى عام 1928، حيث أُعلن عن نشاطاتها وأُطْلق عليها اسم اللجنة التنفيذية للجالية الطرابلسية البرقاوية بدمشق، وأصبح للجنة فروع في الأردن ولبنان والعراق وفلسطين[2]. كما وجه بشير السعداوي رئيس اللجنة كتاباً إلى الجالية الليبية بتونس عَبْر صحيفة الصواب التونسية، يستثير فيه حماس المهاجرين الليبيين ويستنهض هممهم للدفاع عن وطنهم. وتلا هذا النداء اتصالات مكثفة بين رئيس اللجنة بدمشق وأحمد زارم بتونس، وبات الأخير يتلقى التفاصيل والتوصيات والإرشادات من دمشق لتكوين فرع للجنة بتونس، وبالفعل تكوَّن هذا الفرع بجهود كل من: أحمد زارم ومحمد عباس أحد طلاب الزيتونة بتونس[3].

وفي أوائل عام 1929، أعدت اللجنة التنفيذية للدفاع عن طرابلس وبرقة بدمشق ميثاقاً قومياً للشعب الليبي اشتمل على ثمانية بنود هي:

- تأليف حكومة وطنية تحت زعامة أمير مسلم.
- تكوين جمعية تأسيسية لسن الدستور.
- انتخاب مجلس نيابي حائز على الصلاحيات التي يُجيزُها له الدستور.
- اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الدواوين والتعليم.
- المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد البلاد.
- تكوين لجنة إسلامية للعناية بالأوقاف وإدارتها.
- العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

---

1 - تيسير بن موسى، كفاح الليبين السياسي في بلاد الشام 1925-1950، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، (طرابلس، 1983)، ص. 40.

2 - وثائق مركز الجهاد-طرابلس، بيان عن الجالية الليبية في سوريا، ملف. اللجان والأحزاب، وثيقة، ص. 1.

3 - أحمد زارم، حتى لا يضيع التاريخ، دار الحرية، (طرابلس، 1972)، ص. 25-27.

– العمل على تحسين العلاقات مع إيطاليا وفق معاهدة يعقدها الطرفان ويُصَدِّقُها المجلس النيابي.

وأَلْحقت اللجنة بهذا الميثاق نداءً خاطبت فيه مواطنيها في الأقطار العربية كافة، وحرضتهم على توحيد الصفوف وجمع الكلمة، وتأليف الجمعيات وتكثيف النشاط الصحفي والإعلامي للتعريف بالقضية الليبية حتى تُذْعِن إيطاليا لمطالبهم التي اشتمل عليها الميثاق السابق[1].

ويلاحظ من خلال بنود الميثاق وما ورد في النداء ذلك الأثر الذي اكتسبه الليبيون في الحقل السياسي نتيجة لإقامتهم ببلاد الشام. ذلك أن مدلول الاستقلال الذي نادى به أعضاء اللجنة التنفيذية كان يتفق تماماً مع ما يتبناه أقطاب الحركة الوطنية في سوريا، حيث كانت مطالبهم تدور حول إقامة الحكومة الوطنية القومية القائمة على الحكم الدستوري، وإبرام معاهدة لتنظيم العلاقة بينها وبين فرنسا، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نلاحظ أن اللجنة التنفيذية للجالية الليبية بسوريا استعانت بنفس الوسائل التي استعانت بها الكتلة الوطنية بدمشق ضد الانتداب الفرنسي، والمتمثلة في إذاعة البيانات وعقد المؤتمرات وطبع ونشر الاحتجاجات والاستغاثات[2].

والجدير بالذكر أن الاتجاه الرامي إلى عقد معاهدة مع إيطاليا لتنظيم العلاقة بينها وبين الإمارة الإسلامية المزمع تكوينها، قد اتضح تأثيره فيما بعد على الاتجاهات السياسية لدى الليبيين عقب الحرب حيث ظهرت فئة تطالب بالوصاية الإيطالية على طرابلس، بل أن هناك إشارات إلى أن بعضاً من الأحزاب الطرابلسية كحزب الاستقلال كانت تُمَوِّلُهُ إيطاليا[3]. إلى جانب أن الوسائل الدعائية التي اتبعتها الجالية الليبية بالشام، كان لها أبلغ الأثر في صقل مواهب العناصر الليبية وتفتيح مداركها، ناهيك عن عملها الصحفي الذي كان نشطاً بصورة واضحة؛ فمع أنه لم تكن هناك صحيفة ناطقة باسم هذه الجالية، إلا أن الصحف الشامية والتونسية شكّلت المنبر الذي

1- محمد فؤاد شكري. ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ج. 1، ج. 2، ص. 644–645.

2 – محمد فؤاد، المرجع نفسه، ص. 641–645.

3 – أحمد زارم، المصدر السابق، ص. 131.

اتخذته هذه اللجنة للتعبير عن أهدافها، فالمتصفح لصحف الشام كالمرصاد، القبس، المقتبس، العرب، الأمة، المستقبل، اليوم، الأيام، الشعب، الجامعة العربية، الجامعة الإسلامية، الأحوال، فتى العرب والرابطة الإسلامية[1]. وكذلك الصحف التونسية كالزهرة، الصواب، مرشد الأمة، الاتحاد الإسلامي، المعارف، المشير، العهد الجديد والأمة[2]، يدرك بأن الليبيين كانوا ضليعين بالعمل الصحفي، وتدل على ذلك الأعداد الهائلة من المقالات التي سَطَّرُوها في هذه الصحف.

ولم يقتصر النشاط الإعلامي لهذه الجالية على ما تنشره في الصحف، بل أصدرت عدة مطبوعات للتنديد بسياسة إيطاليا في ليبيا، ففي عام 1933، أصدرت كتاب: الفظائع السود الحمر أو التمدين بالحديد والنار، الذي اشتمل على أعمال الإيطاليين في ليبيا ما بين عامي 1911 – 1933، وقد طُبِعَ هذا الكتاب بمطبعة الأيام بدمشق ووزع في سائر الأقطار العربية والإسلامية[3]. ومع أن السلطات الإيطالية منعت دخول هذا الكتاب إلى ليبيا، إلا أن هيئة تحرير ليبيا أعادت طبعه عام 1948 مع إضافة الفظائع الإيطالية التي أُرتكبت ضد الشعب الليبي ما بين سنتي 1933 –1943[4]. كما أصدر أحد أقطاب هذه الجالية وهو حسن ظافر بن موسى كتاباً آخر حول ما تعرضت له ليبيا على أيدي الإيطاليين وهو كتاب، الأندلس الثانية أو طرابلس برقة[5].

مما سبق يتضح أن نشاط الليبيين بديار الهجرة قد اتسم بسمتين اثنتين:

– أنه تركز في سوريا و مصر وتونس على الترتيب.

---

1 – أرويعي محمد علي قناوي، المرجع السابق، ص. 43.

2 – إبراهيم أحمد أبو القاسم، الهاجرون الليبيون بالبلاد التونيسية 1911–1957، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، (تونس ، د. ت)، ص. 77 – 81.

3 – تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص. 65 – 67.

4 – هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، ط. 2، مطبعة الكرنك، (القاهرة، 1948)، ص. 17 – 18.

5 – وثائق مركز الجهاد طرابلس، بيان عن الجالية الليبية بسوريا، ص. 2.

– تمحوره حول العمل السياسي والتنديد بإيطاليا وسياستها في ليبيا.

وفيما يتعلق بكثافة هذا النشاط، فقد حَدَّدَ الثقل الثقافي للبلاد المُهَاجر إليها فاعلية هذا النشاط فبلاد الشام ومصر وتونس كان ثقلها الثقافي أوفر مما كان في تشاد والنيجر. حيث كانت مجالاً لنشاط الكثيرين من دعاة الإصلاح وزعماء الشرق الداعين إلى القومية العربية والوحدة الإسلامية، وكان ذلك سبباً في توفر المراكز العلمية فيها مما شجع الراغبين في العلم إلى الهجرة إليها لتمكين أبنائهم من الدراسة بالأزهر في القاهرة والأموي بدمشق والزيتونة بتونس[1].

كما أن الخلفية الثقافية لهؤلاء المهاجرين أثرت في نشاطهم، فمهاجرو الشام كانوا من الفئات المثقفة من سكان المدن، ولذلك كوّن هؤلاء المثقفون اللبنة الأولى للهيآت التي قادت نشاطهم، ولهذا جاءت خطوات هذا النشاط أكثر رتابة وتنظيما[2]. بينما كان مهاجرو مصر وتونس أقل ثقافة، ولذلك وقع العبء الأكبر على أبناء هؤلاء المهاجرين من طلبة الأزهر والزيتونة، مما أزعج السلطات الإيطالية فمنعت عنهم المنح الدراسية، واضطر البعض منهم إلى ترك الدراسة[3].

أما فيما يتعلق باصطباغ هذا النشاط بالصبغة السياسية، فإن مبرراته تكمن في أن هؤلاء المهاجرين قد خَرَجوا من بلادهم بعد أن صودرت أملاكهم وحُكم بالإعدام على الكثيرين منهم ومن الطبيعي أن ينحو نشاطهم هذا النحو[4].

---

1 – أرويعي محمد علي قناوي، المرجع السابق، ص. 23 – 24.

2 – الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، 1924–1952، ط. 1، دار الفرجاني (طرابلس، 1976) ص. 13

3 – وثائق مركز الجهاد طرابلس، رسالة العيساوي إلى شنيب، 23 مايو 1939، ملف. شكري فيصل، وثيقة. 7.

4 – عز الدين عبد السلام العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي (1922 – 1948)، ط. 1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، 2000)، ص. 68 – 70.

ومع ذلك لم يكن نشاط المهاجرين سياسياً صرفاً، فقد شارك المهاجرون في معظم نشاطات الدول المضيفة لهم، ابتداءً من الالتحاق بالمدارس كطلاب ومدرسين، إلى الاشتراك في النوادي والكتابة في الصحف. وكان هذا النشاط ضمن إطار نشاطات الدول المُهَاجَرِ إليها وليس في هيئات خاصة بالمهاجرين[1].

ومن هذا المنطلق يتضح أن المهاجرين الليبيين قد عملوا على صقل مواهبهم، وخدمة قضية بلادهم عن طريق ما لديهم من ملكات الإبداع الأدبي سواء كان شعراً أو نثراً، فنظموا القصائد وأصدروا المنشورات، وسطَّروا المقالات التي تخدم القضية الليبية من جميع جوانبها. ومن خلال هذه الأنشطة تأثروا بما يجري في هذه البلدان من تيارات، ونقلوا هذا التأثير عند عودتهم إلى بلادهم عقب الحرب. ويتضح هذا التأثير في مختلف الجوانب الفكرية، فعلى سبيل المثال: كان لإقامة إدريس السنوسي في مصر تأثير كبير على معارضته للنشاط الحزبي في ليبيا. حيث شاهد عن قُرْب تلك الصراعات الحزبية التي تدور في مصر على حساب المصلحة الوطنية، ولذلك قام بحل الأحزاب في برقة في أواخر عام 1947، ووحَّدَهَا في هيأة سياسية واحدة المؤتمر الوطني. وكان اتجاهه هذا متناغماً مع ما يجري في الوطن العربي من حركات ضد تعدد الأحزاب. فالتيار السياسي في الوطن العربي كان يتجه نحو تَبَنِّي الفكر الاشتراكي اليساري الرافض للتعدد الحزبي. والدليل على ذلك تلك الانقلابات التي حلت الأحزاب السياسية والتي بدأت بانقلاب حسني الزعيم في سوريا 1949[2].

وفي مجال الأدب نقل كثير من المهاجرين الاتجاهات الأدبية السائدة في المشرق العربي إلى ليبيا، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر من هؤلاء الأديب أحمد فؤاد شنيب الذي تأثر بالمذاهب الجديدة في الشعر العربي، نتيجة لمعايشته للحركات الأدبية السائدة في بلاد الشام أثناء إقامته بها

---

1 - نوري الصديق بن إسماعيل، مقابلة شفهية، (طرابلس، 2 مارس، 2000).

2 - مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، مطابع الأهرام، (قيلوب، 1992)، ص. 106-107.

وكما يقول عنه الأديب راشد الزبير: " . . . وهو من أبرز الشعراء الذين عادوا إلى وطنهم بعد انحسار الاحتلال الإيطالي حاملين سمات التجديد في الشعر العربي من المشرق إلى ليبيا"[1].

كما نقل شنيب مشاهداته للأنشطة الثقافية بمدارس الشام إلى ليبيا عقب عودته بعد الحرب فكوّن أول فرقة للكشاف بمدينة درنة، واضعاً بذلك اللبنة الأولى لهذا النشاط[2]، وإذا كانت السلطات البريطانية قد منعت مثل هذا النشاط بحجة أنه مظهر من مظاهر الفاشستية، إلا أنها ما لبثت أن وافقت على تكوين هذه الفرق لتقوم بدورها التثقيفي والترفيهي في البلاد[3].

بالإضافة إلى ذلك فإن إبراهيم الأسطى عمر صقل موهبته الأدبية، خاصة في مجال الشعر عن طريق لقاءاته بالطلبة الليبيين الدارسين بمصر، حيث كان يتبادل معهم أحاديث الأدب ، كما أثرت مناقشته لهم في أمور السياسة، وقراءة ما يقع تحت يده من مطبوعات سواء كانت كتب أو مجلات أو صحف أثناء زيارته إلى الشام والأردن والعراق في فكره السياسي. وكان لكل ذلك أثره على توجهاته عندما عاد إلى ليبيا تلك التوجهات التي اتضحت من خلال انتمائه لجمعية عمر المختار بدرنة[4].

كما كان لخريجي الزيتونة الذين عادوا إلى غدامس أمثال ؛ محمد عبد الرحمن شليد وأحمد محمد مصطفى عز الدين، أثر في الحياة الفكرية في مدينة غدامس، حيث عملوا على تحويل الاجتماعات الشعبية والمناسبات الدينية إلى اجتماعات سياسية، يُبث فيها الوعي الوطني والقومي، كما استغلوا جلسات السَمَرَ وحولوها إلى شبه نوادٍ ثقافية، وقد نتج عن ذلك بروز نخبة واعية اتصلت بها الكتلة الوطنية الحرة بطرابلس موجهة إليه الدعوة بالانضمام إليها، كما

---

1 –راشد الزبير، الانتفاضات الوطنية في الشعر الليبي، مطابع وزارة الإعلام والثقافة (القاهرة 1968)، ص. 13

2 – رجب الماجري، مقابلة شفهية، (بنغازي، 15 أكتوبر 1999).

3 – محمد بشير المغربي، المرجع السابق، ص 325.

4 – طه الحاجري، الحياة الأدبية في ليبيا (الشعر)، معهد الدراسات العربية، (بيروت، 1974)، ص. 140 – 141.

حرَّضت الكتلة هذه الفئة على تبصير المواطنين بواجبهم نحو وطنهم ؛ والاستعداد لمواجهة لجنة التحقيق الرباعية المزمع إرسالها إلى الأقاليم الليبية[1].

بذلك يتضح أن مهاجري المشرق العربي قد تأثروا بتياراته الفكرية، واستفادوا من التطور الفكري الذي توصلوا إليه، ثم أن هؤلاء العائدين كانوا من الفئة المثقفة، فهم إما من القيادات السياسية أو من أفراد الجيش الليبي، وبذلك فإن الفترة 1943 – 1951، شهدت عودة عناصر تمكنت من المساهمة في الأنشطة الثقافية، وهذا ما يتضح من خلال تكوين النوادي وإصدار الصحف والمجلات. كما إن معظم العائدين قد اتجهوا إلى مدينتي طرابلس وبنغازي، ولذلك تركزت فيهما الأنشطة الثقافية. أما مدينة سبها وهي حاضرة إقليم فزان فقد كان لتأخر عودة مهاجري الإقليم حتى عام 1974، باستثناء جماعات قليلة، أثره السلبي على النشاط الثقافي بالمدينة بل على نشاط الإقليم بالكامل، ناهيك على أن معظم المهاجرين كانوا من التجار والرعاة الذين ليست لهم اهتمامات مباشرة بالنواحي الثقافية[2]، ولذلك لا نجد خلال هذه الفترة أية محاولة جادة لإصدار صحف وطنية في هذا الإقليم، بالإضافة إلى أنه لم يتشكل في فزان طوال عهد الإدارة الفرنسية أي هيأة سياسية أو ثقافية كتلك التي تكونت في برقة وطرابلس وإن كانت هناك محاولة واحدة قام بها عبد الرحمن البركولي ومحمد عثمان الصيد إلا أنها لم تستمر طويلاً[3].

إلا أن هناك اختلافاً نسبياً في وسيلة التأثير ففي إقليم طرابلس لم يُشَكِّل العائدون ذلك الزخم الذي شكله العائدون إلى برقة، ولذا فإن المقيمين أمثال: أحمد الحصائري ،عبد الرزاق البشتي،

1- بشير قاسم يوشع، "ملامح الإدارة العسكرية الفرنسية بغدامس 1943–1954" الشهيد ع. 5، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 1984) ص. 128.

2 – عبد الجليل قريرة الحسناوي، أنماط التكيف الاجتماعي للعائدين من الهجرة بمدينة سبها، ط1، كلية الأدب، (سبها، 1994)، ص 43–48.

3 – مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، ت. تصور زيادة، دار الثقافة، (بيروت، 1966) ص. 128.

محمد كامل الهمالي، محمد المنقاري وغيرهم هم الذين قادوا الحركة الثقافية في هذه المنطقة. فالحركة الثقافية في طرابلس انبثقت من داخلها وليس من الخارج، بينما كان دور العائدين أوضح في برقة، حيث كانت قيادة الحركة الثقافية بأيدي فئة منهم أمثال مصطفى بن عامر، صالح بو بصير وإبراهيم الأسطى عمر. ومع ذلك فإن دورهم لا ينفي دور المقيمين بها، ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى أن طرابلس لم يحدث فيها ذلك الفاصل في التعليم في العهد الإيطالي، وإنما استمرت نهضتها التعليمية الثقافية بعكس برقة التي شهدت فيها هذه الحركة نوعاً من الخمود لعدم استقرار الأمور بها.